ابن خلدون، والمنظرون للذات الاستعمارية
المستشرقون الفرنسيون انموذجا

إعداد

د. محمد محمود شلباية
الاستاذ المساعد بقسم التاريخ
جامعة الزرقاء الخاصة

مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور
المجلد الخامس عشر- العددالرابع - الجزء الرابع- ب - لسنة 2023

ابن خلدون، والمنظِّرون للذات الاستعمارية
المستشرقون الفرنسيون انموذجاً

د. محمد محمود شلباية

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الإشارة إلى مجال الفاعلية في أعمال المستشرقين الفرنسيين، وأن الشرق الذي يتجلى في أعمالهم صار مثالاً ليقود الامبريالية الفرنسية. وكشف التواطؤ والتشابك بين المستشرق والمُسْتَعمِر، ومحاولة لفهم انتاج الاستشراق لسردية ابن خلدون المتخيلة عن الغزو الجامح لقبائل بني هلال وسليم لتحقيق رؤاه. وتعاين الدراسة استراتيجية المستشرقين حول ابن خلدون وتاريخه الذي اكتسب حضوراً مستمراً في مجتمعهم وفي إطار معطيات ابن خلدون التاريخية وبشكل خاص تاريخ البربر ومن خلاله عملوا على صياغة رؤيا تخدم أفعال الاستعمار وارتقائه في المغرب الكبير. وفي مركز التصور الاسشراقي الذي يدعم ممارسات الاستعمار باقصاء العرب من ارجاء التاريخ المغربي. والكشف عن تلك العقائد النرجسية في الحضارة الغربية المتفوقة بتعزيز أثر التاريخ على البنية الثقافية المغربية ولكن على اسس مزورة من اختراع التراث لابراز ثنائيات عديدة من الانقسامات. وصياغة اطروحة ارجاع انحطاط المغرب الى تاريخه العربي لتدعيم ممارسة الاستعمار على المغرب وترسيخ الحضور الفرنسي للقوة والسلطة.

الكلمات الدالة:

ابن خلدون، الاستشراق، الاستعمار الفرنسي.

Ibn Khaldun, and the theoreticians of the colonial self The French orientalists as a model

Dr. Mohammad M. Shilbayeh

ABSTRACT

This study seeks to indicate the field of activity in the works of the French orientalists, and that the East, which is reflected in their works, has become an example to lead French imperialism. It revealed the collusion and intertwining between the Orientalist and the colonizer, and an attempt to understand the Orientalist production of Ibn Khaldun's imaginary narrative about the unbridled invasion of the tribes of Bani Hilal and Selim to achieve his visions. The study examines the strategy of the orientalists about Ibn Khaldun and his history, which gained a continuous presence in their society and within the framework of Ibn Khaldun's historical data, especially the history of the Berbers, through which they worked on formulating a vision that serves the actions of colonialism and its advancement in the Great Maghreb. And at the center of the Orientalist perception that supports colonial practices by excluding Arabs from throughout the history of Morocco. And the disclosure of those narcissistic beliefs in the superior Western civilization by strengthening the impact of history on the Moroccan cultural structure, but on false foundations of the invention of heritage to highlight the many dualities of divisions. And the formulation of the thesis attributing the decline of Morocco to its Arab history in order to support the practice of colonialism in Morocco and to consolidate the French presence of power and authority.

Keywords: Ibn Khaldun, Orientalism, French colonialism.

مقدمة

نلتقي في النصف الثاني من القرن الرابع عشر مؤرخاً وسياسياً يمنحنا رؤية عميقة حول التاريخ والطبيعة *الاجتماعية* للدولة، وعوامل قيامها واسباب انهيارها، ابن خلدون مؤرخ وعالم اجتماع غير متحيز حظى بتقدير كبير وعبّر عن رؤيته التاريخية لمصلحة المعرفة العلمية فقط، وحقيقة ان رؤيته للتاريخ قد شوهت وأفسدت باستمرار من المؤسسة الاستشراقية الفرنسية التي سعت الى تحقيق اهداف الاستعمار الفرنسي في المجال المغربي.

سعى الاستعمار الفرنسي لتزوير اطروحة للاستراتيجية الاستعمارية بالاستناد الى ابن خلدون، ودعماً لهذا التراث فقد نسج الاستعمار ورديفه الاستشراق تاريخاً محرّفاً يعزز الاقصاء وتنامي الانقسامات في المجال المغربي بين صُناع عمرانه: العرب والبربر. ويرجع انتاج هذه الاطروحة المزيفة التى سعى اليها الاستعمار لتقرير مصير المغرب الكبير الى الاستشراق الذي اسلم المغرب للاستعمار الفرنسي وسلطته وقوته. وتضمنت بنية الاطروحة الاستشراقية المتخيلة المؤوّلة المستندة الى سفسطة تاريخية: فئة مستهدفة يمثلها ابن خلدون وتاريخه "العبر"؛ وامام المستشرقين دي ساسي وجنوده الذين حرروا وترجموا النص لخدمة الاستعمار الفرنسي وفسروا ابن خلدون بما يتناسب مع آمالهم وطموحهم التوسعي في المجال المغربي.

اصبح ابن خلدون احد اهم محركات البحث الاستشراقي لتقديم الاسناد والدعم لحركة الاستعمار في المغرب واصبح تاريخه في سياق منظومة الاستشراق والاستعمار محط مصالح فرنسا السياسية، وصاغ تراثه التاريخي العابث بالبنية الثقافية المغربية كل من دي ساسي وجنوده الذين مثّلوا لفرنسا الاستعمارية النموذج المثالي لما ينبغي ان يكون عليه الباحث المنتمي للحضارة الغربية المتفوقة المفعمة بالنرجسية. وكان دي ساسي وجنوده يقومون بفعلهم مثال المستشرق المجد المنتمي واعين بالبنى التي كانوا يقيمونها لتأكيد التزامهم الاخلاقي تجاه امبراطوريتهم.

انتاج ابن خلدون آخر وتأثيل مجد فرنسا الاستعماري

شهدت اوروبا القرن التاسع عشر –المفعمة بتلك العقلية التي تسعى لانتاج مجتمعات خارج العالم الغربي تخضع لتشكيل رغبة في قبول الالحاق والانقاذ والسيطرة– ازدياد الاهتمام بالعرب والاسلام بسبب التوسع الاستعماري والاقتصادي (الدعمي 2008: 207). وجاءت نشأة الاستشراق متزامنة مع نمو النزوع الاستعماري وبرزت آثار ثنائية منطق العلم/ وعقلية الاستعمار التي كانت تطبع جهود المستشرقين وعلاقتهم بالسياسة (معريش 2009: 160). وسبقت الاطماع الغربية الاستعمارية دراسات وابحاث تناولت شتى جوانب الحياة في المغرب "جغرافيته، تاريخه، حياته الاجتماعية، عاداته وتقاليده واعراقه، اساطيره وحكاياته، طرق تفكيره، ونمط معيشته" (القادري 1978: 5). وتحركت المعرفة والبحث الفرنسي الى الامام، وفي سياق نهج رؤيا الاستشراق نذر المستشرقون الفرنسيون انفسهم لعمليات التحرير والترجمة واعادة تركيب تاريخ المجال المغربي وانتاج معرفة لتدرس المجال المغربي وتحكمه فبدأت حركة الاكتشافات الاستشراقية نحو الظواهر الاجتماعية: القبائل، والتجمعات البشرية، والفرق، والجماعات، والطوائف، والمتآخين، وتطلعوامن خلال الاستشراق للاشتمال على الشرق وتمثله من خلال بنية معرفية استشراقية استثنائية في أدواتها وشمولية مصادرها المهمة والوفيرة من أجل بذل الجهد لتحقيق رؤية الاستشراق وطموحه في انتاج نص مجتمع مستقبلي للإسلام (القادري 1978: 264).

وبعد عملية طويلة من الاعداد والبحث في المصادر المكتشفة التي انتجت النص الذي سيشكل المجال المغربي اصبحت التجربة الفعلية العسكرية والاقتصادية والسياسية لفرنسا في الشرق حضوراً لا يُرد. وفي اعقاب هذه اللحظة التاريخية المنتظرة آلت القيادة في مستهل القرن التاسع عشر في مجال الاستشراق لفرنسا بفضل انجازات سيلفستر دي ساسي (فوك 2014: 141). ظل الاستشراق الفرنسي –منذ تور بواتييه والحروب الصليبية– تحكمه نفس الفلسفات التي تحكم رؤية الذات إلى الآخر، وسعى الى استقطاب النظريات الانقسامية وتعميقها؟ واصبح لديه ميل لتلك المعرفة التي تقوم على بناء ثنائيات متناقضة شديدة الحِّدية تحكم رؤيا الاستشراق التي اصبحت تحتل المركز في نظرية الاستشراق، وبالتحديد عندما تقف معضلة الشرق امام صانع

السياسة الغربي فيلجأ إلى الاستشراق الذي يعمل على تسليط الضوء على مناطق معينة مستنداً إلى مسلمة انتهجها وهي شدة تلازم القوة والمعرفة (درويش 1997: 20).

استغل الفرنسيون قانون المعرفة–القوة فالشرق كما صنعه الغرب، والمغرب كما صنعته فرنسا. وحدد المستشرقون الفرنسيون، أدوار المؤرخين منهم، وتقتضي القيام بابتعاث وقائع الماضي اعتماداً على المخطوطات الممتلئة بالنصوص المفيدة للاستعمال التي تجعل تاريخ المغرب على اتصال وثيق بالواقع المعاصر، وخوض مغامرة اعادة الحقيقة إليها من خلال النقد لجعلها قيد الاستعمال بحيث تخدم مجالات السيطرة الفرنسية. ويرى هؤلاء المؤرخون من خلال وعيهم بتاريخ الشرق –بحسبهم– ان تاريخ الشرق لم يصل بعد الى مرحلة التركيب والتجانس (معريش 2009: 45). واسست الكتابات الفرنسية لنظرة عميقة إلى البنى المكونة للمجتمع المغربي، وترتبط المعرفة التي تستكنه تلك البنى بعمق مع عمليات السلطة، وهذا قول يمكن اسقاطه على الانتاج المعرفي الاستعماري الفرنسي فيما يتعلق بالمغرب (مزيان 2016: 113). ونشط المؤرخون الفرنسيون في سياق نهضة استشراقية عززت كون فرنسا تمتلك أفق السيطرة في المجال المغربي من خلال محاولة لفرض افتراضات بعيدة كحقائق مقررة بالاستناد الى تراث سابق اثْرى رؤيتهم الاستعمارية بمجازات باطلة، ومارس الاستشراق الفرنسي مصادرته المعرفية ضد تراث المغرب وتبيان ان التاريخ المغربي يمثل المعرفة الفعالة للاستعمار من خلال قراءة قاصرة زودت مضمونه بصور تاريخية مزيفة من خلال ابن خلدون المستشرق الذي خضع لعمليات التحرير والترجمة الاستعمارية الخيالية الغامضة وبذلك اصبح المغرب تعبيراً عن "الاخفاقات المتتالية" في تكوين الدولة الوطنية، بسبب الصراع الأزلي بين سكان المدن المستقرين والبدو الرحل (مزيان 2016: 117).

ازدهرت دراسات ابن خلدون في فرنسا وتوسع المجال المعرفي المفتوح امام الاستشراق وخاصة بعد ما تكّون التلاحم بين الاستشراق والاستعمار. وكان احتلال فرنسا للجزائر بدايةً لإعادة النظر في رسم السياسة الفرنسية لما بعد الاحتلال. فرضها على فرنسا النضال الجزائري، وضعف معرفة الفرنسيين والمبهمة للبنية الاجتماعية في الجزائر هدد المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر فتهيأت الرسالة السامية للاستشراق للقيام بأداء مهمتها عبر قاعدة من الدراسات احتوت

نصوصاً شرقية اكتشفها الاستشراق نتيجة الرحلة والسفارة والعلاقات الدبلوماسية ادت الى تشكيل تصور نتج عن تنظيم وسائل الاهتمام بالتداخل والتفاعل الفريد بين عناصر البنى الاجتماعية والسياسية واثنيات السكان المحليين ودراسة ظروف حياة الجزائريين ونشاطهم الاقتصادي وعقيدتهم الدينية وتاريخهم (باتسييفا 1986: 88).

ان الاهتمام باحوال الشرق، تكتنفه لغة استشراقية غير جذابة عابثة بمقدرات التاريخ الشرقي تأتمر بتوجيهات الاستعمار وتدعم سيطرته وسلطته وذلك باستكناه عقلية وأمزجة شعوبه، ومبهماته، ومدنيته وثرائه المادي، وتاريخه؛ وبتقنياته المستحدثة المتمكِّنة يقوم بعمله الانتفاعي من خلال البحث والتقصي واستخدام الوسائل الجديدة للقوة الاستعمارية لتحقيق السيطرة الثقافية فاعليتها من خلال التماس مواضع القوة والضعف المزعومة لدى هذه الشعوب تمهيداً لشن حملات التبشير واندفاعات الاستعمار (الحاج 2002 ج1: 20). وتعود الاهتمامات الاولى بتراث ابن خلدون إلى المستشرقين الفرنسيين، لا سيما الذين اسندت اليهم بحوث ذات اهداف وأغراض استعمارية–عسكرية، وضاعفت مؤسسة الاستشراق الفرنسي من خلال جمعياتها ومجلاتها ومن خلال تأسيس كراسي الاستاذية للدراسات الشرقية ومؤتمراتها من جمع معلومات حول تاريخ الشعوب في شمال افريقيا، وخصائص هذه الشعوب لتساعد فرنسا على تحقيق مخططاتها في السيطرة على شعوب المنطقة والاستيلاء على مواد ثرائها (مشوش 2012: 22). وحاولت المدرسة الاستشراقية الفرنسية استعمال نصوص مقدمة ابن خلدون لتعزيز النزعة الانقسامية التي تستبطنها مضامين تلك النظرية ويسعى الاستشراق لاستعمالها، وذلك بإلصاق صفات "التوحش" "البداوة" و"العصبية" بالعرب (حسين 2010 ج23: 58–59) طوال قرن كامل من تاريخ شمال افريقيا (مشوش 2012: 30).

ويرى عبد الغني مغربي ان معظم المؤرخين والمستشرقين الفرنسيين الاستعماريين لم يزدد اهتمامهم بابن خلدون، بهدف البحث العلمي الموضوعي، وبسبب خصائص المؤرخ المغربي في تقريره لادوات المعرفة الممثلة بالاستقراء والملاحظة التي ميزت بحوثه في التاريخ والاجتماع وانما فعلوا ذلك بهدف ترسيخ العرف الذي سيطر على منهج المؤرخ الفرنسي وهو العبث والتزييف حتى يؤثّروا في عقول ووجدان سكان المغرب المعاصر، وهكذا اعتبر مؤلف المقدمة،

اول مفكر تمكن من ان يكون المكتنه المتقصي للتعصب العرقي المُتخيل والموجود بين العرقين الاساسيين اللذين يعمران شمال افريقيا (مغربي 2014: 47). فبدأت عمليات التحرير والاستعمال للمقدمة ولتاريخ ابن خلدون في السياق الاستعماري، لتأييد نظريات بعيدة كل البعد عن الواقع والموضوعية. وذلك بتشويه فكره تشويهاً مدروساً ومتعمداً (مغربي 2014: 48). وبلغ تزييف وتحريف فكره حداً جعل ابن خلدون آخر يؤدي مهام الطموحات الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي. والغريب في الامر والمثير للسخرية، هو ان ابن خلدون الآخر الذي هو انتاج معرفي مشوه ومتخيل جهدت في صناعته لمخيلة الاستعمار الفرنسي المؤسسة الاستشراقية الساعية في بحثها الحثيث والمجتهد إلى خلق دوافع حداثية للسيطرة، تُعطي الحق للمستعمر المُضطهِد المزيف والعابث بالتاريخ والهوية. ولا يمكن لعملية الصناعة والانتاج هذه ان تطور العلم لأنها تحقيق دنيء لمصالح الاستعمار الفرنسي (مغربي 2014: 48).

دي ساسي: "المقتطفات العربية" الحقيقة والتاريخ وابن خلدون

أكاد أعرّف دي ساسي ومستشرقي فرنسا باولئك "المنسجمين جيداً مع ثقافتهم" ان مروياتهم الايديولوجية هدفها العمل على تبرير امبرياليتهم. وهي الايديولوجيا السائدة في عصرهم وهذه الايديولوجيا تربط نفسها برواية معينة للانسان والعالم. وتساعدنا قراءة توظيف تاريخ ابن خلدون على تحليل الأساطير المؤسسة للسياسة الفرنسية والتحليل العميق لها وخاصة ان هذه الاساطير سعت لتوثيق تاريخ ابن خلدون وتفسيره ليؤدي ذلك إلى تأثيل مجدها. دي ساسي Sacy, S.de (1758–1838) الذي عُدّ إمام المستشرقين في عصره واضفى على الاستشراق امتيازاً واصبح في شكل من اشكال وجوده مديناً لـ دي ساسي، واصبح المستشرقون الغربيون والفرنسيون بشكل خاص من المنتفعين بمنهجه القويم الذي يقوم على جعل استشراقهم مؤسساً على اساس من الاتصال والتفاعل مع واقعهم السياسي، وأخذ عنه الغرب تقنيته الجديدة المتمكنة وبثوا رؤية الاستشراق السياسية للواقع في سبيل سلوكه ومنهجه (العقيقي 1965 ج1: 181). وترجم لوزارة الخارجية الفرنسية نصوصاً رسمية إلى العربية (فوك 2014: 144). واصدر سنة 1829 مقتطفات لغوية مختارة –تمثل، بمعنى من المعاني، الشرق واسراره– منها مختارات من مقدمة ابن خلدون (فوك 2014: 147). من فصل الخطط الدينية الخلافية: الحسبة والسكة، وشارات

الملك والسلطان الخاصة به، وفصل في أن الخط والكتاب من عدد الصنائع الانسانية DE). SACY 1826: 279–336)

عمّق الاستشراق الفرنسي العلاقة بين المعرفة والقوة واستغلتها السياسة الفرنسية لصالحها الاستعماري. واستغل دي ساسي الموسوعي الثروات المعنوية –الممثلة لبلاغيات الجماعة الفرنسية المُستعلية– الطامحة لخدمة المصالح الاستعمارية الحقيقية القائمة في أُطرها السياسية– اقتصادية الطاغية. وأمد ثقافة عصره الفكرية منهجاً ومعرفة وثراءً بالمواد الانسانية التي منحت البنى الاستشراقية ديمومتها وجعلتها بارزة للعيان بما قدمته من دراسات تصحيحية لتحديد هوية المغرب (خراط 2008: 41). ودي ساسي المؤرخ الفرنسي الأول الذي أسس لمنهج علمي وبيان جميل وتحليل متين، يتضمن بلاغاً سياسياً يمتلك دلالات هامة تنبثق من المنهج الذي أتى به لتمثيل الشرق من خلال النص "المقتطف"، وهذا لا يثبت –وذلك من وجهة نظر علم الخطاب– أنّه يُخْبِرُ عن الوقائع كما حدثت فعلاً، "بل يعيد بناءها بناءً تتحكم فيه نسبة القوى السياسية والمعرفية بين بني البشر، تلك العلاقة التي تشرط عمل المؤرخ من حيث يدري أو لا يدري." (حيمر 2008: 176–177). منهج يقوم على معرفة اساسية فعالة لاتقتصر على رؤية ظاهر الصورة التاريخية او سطح النص للحدث بل هي تعبير عن كامنه ومدلوله العميق ليستطيع ادارة نظرية تعبر عن مفهومه لثقافة الآخر بفاعلية مذهلة "فالعلاقة المركّبة بين السرد والتاريخ، هذا التحليل يستبعد أنْ يكون السرد مجرد تمثيل خطّي للأحداث، إذ هو بناءٌ للواقع يتضمن رؤىً وخياراتٍ ومضامينَ أيديولوجية وسياسية متنوعة".[1] ومؤدها كما يقول إدوارد سعيد "أنّ كل كتابة تاريخية هي كتابة وتحمل لغةً تصويرية ومجازاتٍ تمثيلية، إما في صيغة الإستعارة، أو المجاز

[1] يرى هيدن وايت أنّ منهج كتابة التاريخ لا يقل أهمية وقدرة تفسيرية عن المحتوى: أي الحقائق التاريخية المتضمنة في كتاب التاريخ. يقول في مقدمة كتابه "محتوى الشكل": "السرد ليس مجرّد شكل خطابي حيادي قد يستخدم أو لا لتمثيل الأحداث الحقيقية من حيث هي سيرورات تطوّر، بل ينطوي على خيارات أنطولوجية ومعرفية ذات استتباعات أيدولوجية، بل حتى سياسية متنوعة، انظر البناء التاريخي عند هيدن وايت في كتابه: **محتوى الشكل: الخطاب السردي والتمثيل التاريخي**، ترجمة: نايف ياسين، مراجعة: فتحي المسكيني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2017.

المرسل والكناية، أو التمثيل الترميزي <الأليغوريا>، أو المفارقة اللاذعة." (سعيد 2004: 360).

وتعد شخصية دي ساسي لحظة تاريخية لتدشين الدراسات العلمية المنظمة في مجال الاستشراق حول الآداب العربية. ومثالاً لجامعة اصبحت تجسيداً للمعرفة والنزعة الموضوعية الحديثة في الاستشراق ومدينة لـ دي ساسي بشخصيته التي احبت العربية وتعمقت دراستها (درويش 1997: 24). ويتجلى عمل دي ساسي الذي قدمه ليمثل به الشرق إلى الغرب بفاعليته العملية المكرسة للنفعية. وفتحت اللغة العربية لـ دي ساسي ابواب الشرق، ووضع معرفته عن رغبة في موضع المركز من نظرية الاستشراق التي تشتق وتستقي الشرق من النصوص المكتشفة وقُلد منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية. وصار دي ساسي شكلاً من اشكال الحياة الواهبة وراسماً ومشاركاً في صناعة السياسة الاستعمارية الفرنسية في اختراق المجال المغربي، وسوّق المغرب لفرنسا من خلال انتاجه لتقنية "النص المقتطف". واسندت اليه وزارة الخارجية ترجمة نشرات الجيش الفرنسي وبيان نابليون عام 1806، الذي كان يسعى لخلق حالة من التوتر تؤدي الى خلق صدامية بين "الجامعة الاسلامية" و"الارثوذكسية الروسية". وعندما استولت فرنسا على الجزائر سنة 1830، كان من الجلي ان نوايا دي ساسي تستحق الثناء الناصع من المؤسسة الاستعمارية الفرنسية لهذا المستشرق المتخصص التقني المؤثل للذات الفرنسية وجاء تمثل نواياه بترجمة البيان الموجه للجزائريين[2]؛ عبقرية دي ساسي الفنية اهلته ليكون احد مؤسسي عقيدة مذهبية للشرق وانتاج معرفة حول جميع المسائل المتعلقة بالشرق وشخصيته ومدنيته وشعوبه

[2] استلم ديساسي من كليرمونت تونير Clerement Tonnerre المكلف من وزارة الحربية الفرنسية بترجمة البيان الذي أصدرته السلطات الفرنسية عند احتلالها للجزائر، ليصوغه بحسب التعبير المستعمل في شمال افريقيا، زكريا، م م ش أ، جودي، **قراءة في وثيقة أول بيان للجيش الفرنسي الموجه لسكان الجزائر في مايو 1830**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، العدد1، جانفي 2019، ص68.

وجغرافيته وبالامكان تحريكها لدفع عجلة المؤسسة الاستعمارية الفرنسية باتجاه المجال المغربي (سعيد 2001: 146).

وضع دي ساسي أمام الاستشراق جسداً كاملاً منتظماً من النصوص. المقتطف من كتلة كبيرة من المواد الانسانية لمد جسر بين العمل الاستشراقي الفاعل والمعزز للسياسة الاستعمارية الفرنسية. وجعل من هذه المقتطفات نقطة البداية ووضعها امام باحثي المستقبل في صورة موضوعات ممتازة ومنتقاة ومرتبة بعناية لتكون تمثيلاً له وتؤدي الشرق إلى المتعلم ولتكون نقطة انطلاق للتجربة الفرنسية وهي "المقتطفات العربية" في ثلاثة اجزاء 1825 والتي ختمت منذ البدء، بوجه من الكلام، بمزدوجة عربية ذات تقفية داخلية: "كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور" ونزع دي ساسي يدشن الاستشراق واخراج المعرفة الاستشراقية وملامحها، بازالة الغموض والمبهمات عن مواد معرفية درسها بعد أن انقذها وسلط الضوء عليها لتكون ماثلة أمام مريديه الساعين لامتلاك تكنولوجيا القوة. ارتبط ما يقوم به دي ساسي هنا برؤيته الشاملة للمعرفة والتي كان عليه ان يسعى الى تفسيرها وفك اسرارها ومبهمها ودعمها بالحجج ومعالجتها والتعليق عليها وشرحها وترتيبها. وتشكل مقدمة دي ساسي لنظرية المقتطفات همّاً رومنسياً عاماً "وهكذا، فاذا كان المستشرق ضرورياً لأنه يصطاد بعض الدرر من الأعمال الشرقية النائية، وما دام الشرق لا يمكن أن يعرف دون توسطه، فإنه يصح أيضاً أن الكتابة الشرقية ذاتها لا ينبغي أن تؤخذ بصورتها الكلية." (سعيد 2001: 150). وبحسب ادوارد سعيد ليس هناك من ضرورة لتقديم الشرق إلا عن طريق مقتطفات تمثله، يعاد نشرها، وشرحها، والتعليق عليها لأنها مجردة من الروح النقدية، ويتجلى في هذا الجنس الأدبي الخاص الذي دشنه دي ساسي واطلق عليها مسمى "المقتطفات" "فائدة الاستشراق وأهميته، بأكثر صورهما مباشرة ونفعاً." (سعيد 2001: 150).

ترتيب "المقتطفات" الداخلي لمحتوياتها، وتنظيم أجزائها، واختيار شذراتها، لا تبين كامنها وسرها. هل جاء اختيار دي ساسي للمقتطفات لأهميتها وفائدتها السياسية، أو تطورها الزمني أم لتمثيلها الطبيعة المشرقية. ويصير الشرق من خلالها في سياق الانفعال الغربي بالشرق "ولا تكمل مختارات دي ساسي الشرق وحسب، بل إنها تقدمه للغرب في هيئة حضور شرقي." (سعيد

2001: 150). ظل تراث دي ساسي أبو الاستشراق حياً ومستمراً، عالج فيه الشرق بوصفه شيئاً ينبغي أن يرمم وبترجمته للمقتطفات أصبح الشرق مخلوقاً من صنعها ويأتي هذا الخلق الجديد والاصطناعي "ينجب شريعة من الأشياء النصية تنتقل من جيل من الطلبة إلى جيل لاحق." (سعيد 2001: 150). وتبقى مهمة المستشرق التقني المتقصي أن يشكِّل من المقتطفات المتمايزة صورة للحقيقة الضالة ويعيد بناءها، من الشرق المتخيل؛ وتقدم المقتطفات، التي اكتشفها دي ساسي، المادة، التي تتبلور في سياق ويحركها الباحث ويبنيها من وجهة نظره العابثة والمزورة للتاريخ مزودة ومحاطة "بحوليات، صور، وحبكات منظمة" (سعيد 2001: 168).

جنوداً تحت الإسكندر، وملوكاً بعد وفاته

صار الكثير من المستشرقين البارزين الذين درسوا العربية على دي ساسي اساتذة في الاستشراق، ومن خلالهم بدأت عملية اعداد ابن خلدون وصناعة المعرفة به لخدمة الاستعمار الفرنسي في المجال المغربي. ونال ابن خلدون اهتماما كبيراً من قبل هؤلاء المستشرقين، وفِعْلُ التحرير والاستعمال الذي أعدّه كواتريمير[3] Quatremere, Et-Mare (1782-1852) لتقديم ابن خلدون وتاريخه للاستعمار الفرنسي يعتبر من اهم البنى الاساسية التي بواسطتها تم دعم السيطرة بتلك القوة الواهبة لتحقيق الذات الاستعمارية في المغرب العربي ولذلك عُدّ كواتريمير اهم مستشرقي فرنسا وإمامهم بعد دي ساسي (فوك 2014: 79). واعتمد على نسخة ممتازة من المقدمة نُسخت سنة 1733 احضرها الجنرال سياستيان رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في تركيا وبرجاء من دي ساسي من سوق الكتب في استنبول اصبحت اساس طبعة كواتريمير للمقدمة (باتسييفا 1986: 79).

---

[3] كان كواتريمير باحثاً يمثل نموذجاً للكاريكاتير الشائع لما ينبغي أن يكون عليه الباحث الحق. وكان دؤوباً بشكل معجز وذا عادات متحذلقة، وقد وصفه ارنست رينان، في ملاحظة تذكارية خالية نسبياً من الشعور كتبها عام 1857، بأنه كان يقوم بعمله مثل عامل مجدٍّ لم يكن باستطاعته، حتى حين يقدم خدمات جلّى، أن يرى النصب الكلي الذي كان يبنيه، ولم يكن النصب بأقل من "العلم التاريخي للجوهر الانساني" الذي كان في طريقه الآن إلى أن يبنى لبنة لبنة، سعيد، إدوارد (2001)، *الاستشراق، المعرفة. السلطة. الإنشاء*، نقله إلى العربية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط5، ص158.

كرّس الاستشراق الفرنسي نفسه لاخراج تراث ابن خلدون من خلال تحريره وترجمته لمقتطفات من تاريخه وعدد من المقالات التي كرستها دوريات الاستشراق الفرنسي المحملة بالنوايا غير الحسنة وخاصة الفصول التي تؤرخ للبربر وجاء اهتمام الاستشراق بابن خلدون وتراثه التاريخي في سياق فكر عصر الاستشراق وجاءت "إعادة اكتشاف" ابن خلدون، والقراءة الحديثة لأعماله، من قبل الاستشراق الفرنسي الذي عمل على تقديم الترجمات والطبعات الغربية لأعماله، وسادت الفاعلية العملية نشاط المستشرقين الفرنسيين في مشروع ابن خلدون الاستعماري واتحدت رؤاهم في العمل والاستعمال وتحرير وترجمة نصوص تاريخ ابن خلدون.[4]

كانت فرنسا من خلال مستشرقيها احد اهم المسارات التي سلكها تراث ابن خلدون وذلك في سياق الاستعمار الفرنسي للمغرب الذي شجع –وفي سياق البحث الاستشراقي الفرنسي– على معرفة المجال الثقافي المغربي من خلال البحث في مقتنيات المكتبات المغربية والبعثات الاستشراقية للمغرب لتوجيه واقع المغرب نحو المصالح الاستعمارية الفرنسية. واسترعى تاريخ ابن خلدون اهتمام وفضول وتقدير مستشرقي الجمعية الآسيوية الفرنسية وكتاب مجلتها وسياسيي

---

[4] أصدر ديفرجه Desvergers, A.N (1805-1867) في سنة 1840، تحت عنوان Histoire de l'Afrique sous la dynastie des Aghlabites: et de la Sicile sous la domination musulmane القسم الخاص من أخبار بني الأغلب في افريقية وصقلية إلى استيلاء الفرنجة عليها من العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، متناً وترجمة سنة 1841، وكتب دي تاسي Tassy, Garcin.de بحثاً عن ابن خلدون سنة 1823، وأعاد كازانوفا Casanova, P نشر ترجمة دي سلان لتاريخ ابن خلدون، مع تعليق وثبت للمراجع وفهرس عام، في خمسة أجزاء سنة 1925، ونشر رينو Renaud, H.P.J سنة 1943 بحثاً بعنوان "الألوهية وتاريخ افريقيا في زمن ابن خلدون"، ونشر جودفروا ديمومبين Goudefray-Demorbynes, M تاريخ بني الأحمر ملوك غرناطة من تاريخ ابن خلدون سنة 1898، وكتب بيريس Peres مقالة عن ترجمة مصنفات ابن خلدون في مجلة الدراسات الشرقية لليفي دلافيدا، سنة 1956، وفي نفس المجلة نشر ثبتاً لمصنفات ابن خلدون، العقيقي، نجيب (1965)، المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط3، ج1ص190، 196، 226، 259، 285، 306، ونشر ليفي-بروفنسال Levi-Provencal, E بحثاً عن نسخة من كتاب العبر لابن خلدون، كان ابن خلدون نفسه قد أهداها إلى مكتبة القرويين في فاس، بروفنسال، ليفي (1994)، الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة: الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص6.

فرنسا. ونشر نصه العربي كاملاً، وترجم إلى الفرنسية كاملاً، فضلاً عن كثير من المقالات التي تعرضت له بالتحليل والنقد (معريش 2009: 63).

جناية دي سلان وعبثه الجامح

تأتي أهمية ترجمة دي سلان Slane, Mac-Guckinde (1801-1878) -التي كانت ممتازة بالنسبة لعصره-(باتسييفا 1973: 87) في اتمام مشروع ترجمة المقدمة التي بدأه كواتريمير فخرجت المقدمة من دائرة الإطلاع المحدودة، ووضعتها في متناول المذهب الاستشراقي الذي سيتبع سبله المؤرخون والمستشرقون من الاجيال اللاحقة (الحصري 1953: 251). ومن هنا تأتي أهمية ترجمة المقدمة التي بدأت في الانتشار والتأثير في المؤرخين والمستشرقين تأثيراً عميقاً، وأدهشتهم عبقرية كاتبها الرائد لكثيرٍ من الآراء والنظريات القيمة (الحصري 1953: 251). ونشر دي سلان القسم الخاص بالمغرب من تاريخ ابن خلدون بعد تحقيقه على عدة مخطوطات، متناً وترجمة سنة 1847 و1852 (العقيقي 1965 ج1: 197).

مر عمل دي سلان في مشروع تاريخ ابن خلدون عبر مسارات: التحرير والاستعمال. تصور للأحداث التاريخية في نص ابن خلدون التاريخي ينقله من دائرة التاريخ وسعي حميم لتأويله ليكون تلك القوة الضاربة التي لا ترحم ابداً. وعي دي سلان لأمر معين هو فرنسا نفسها وتغليب تجربتها القائمة على المصالح. ونص ابن خلدون هنا نص مبحوث عنه حمّلته الايديولوجيا الاستعمارية ازدواجية تحتوي مقاربتان؛ الاولى معرفية والأخرى تداولية سيكون لها وقع كبير في تحقيق أهداف الاستعمارية.

النص المتلاعب به من قبل العقل الاستراتيجي الذي اعطى بكل قواه آلية التحريف والتشويه لدى المستشرق الاستعماري الذي يصف الأشياء في نص ابن خلدون وصفاً غير صحيح ومشوه نتيجة تأويل لا يستند إلى معايير وقيم علمية فقد قام عمله كمؤرخ على اختيار وقائع بعينها لتكون الاكثر دلالة والابعد أثراً. يبني دي سلان ومؤسسته الاستعمارية اساطير وقصوراً من الايديولوجيات ترتجل البنى الثقافية للمغرب العربي من خلال الاستيلاء "بسمه وبه يستعان عز وجل، الحمد لله الذي بقدرته يجري تصاريف الأمور، الحاكم الذي بحكمته يدور دواير الدهور، العالم الذي بعلمه يهدو الفتن وتفور، القادر الذي بتقديره ينبع الدول وتغور، حمد معترف

التقصير في ادراك ادنى مرتبة ثنائه لا في الاجهار بتمجيده، المقر ببعد القرار عن قضاء موجبات حقه لا عن الإقرار بتوحيده، المتضرع إلى رحمته بقلب مشفق من خشيته، المتشوق إلى وجهه بصدر يضيق من غيبته، حمداً يتبين دائماً على ألسن الجوارح ولسان الحال، ويفوح نشره ابداً ما دام العبد ذا فهم وبال." (ابن خلدون 1847: المقدمة).

انه استشراق صافٍ، نقي التحيز، لا علاقة له بالمستشرقين الاستعماريين، يمتلك شذوذية مميزة عن الغرب الاستعلائي، بالتزامه اعلاء شأن ابن خلدون ورفعه على اعتاب الحداثة لتمثله الاتجاه النقدي في كتابه العالمي "ويُرى بين الكتب التي أَلَّفها كتابٌ يَنمُّ على عبقرية حقيقية." (سيديُّو 1969: 409). ابن خلدون الموجود المتميز المؤرخ الحاضر الذي ارتقى الدرجات العلى من تلك الروح المسيطرة (لوبون [د.ن]: 453). وعلى الضفة الأُخرى معرفة أُخرى خابرة لنصوص ابن خلدون الكبرى التي زيفها الاستشراق الاستعماري وقللت من احتدامية ذلك التفاوت بين النص وواقع المجال المغربي الحديث وستظل قابلة لتعدد الأنظار، ومفعمة بالرؤى والمعاني، مليئة بقوة تمتلك القدرة على تحقيق الاسراف في الانفعال للاهتداء الى مناهج تجاوز الازمات وتحقيق ذلك العصف الذهني الذي يخلق ملكات قارىء التاريخ المشوه، وشعوذات المجددين (حميش [د.ن]: 163). اصبح واضحاً لدى الكثير من الدارسين الغربيين ان ابن خلدون كان اكتشافاً استشراقياً استعماراً غربياً أدت اليه حاجة الاستعمار الفرنسي بالذات حين بدأ بالتحري عن كل ما يفيد في وصف البنى المبهمة للمجال المغربي المتضمنة في الشمال الافريقي الذي توجهت فرنسا لاستعماره والسيطرة عليه عسكرياً واقتصادياً (الزيادي 1995: 216). وسعت لتحريره وترجمته وتمثله واستعماله فهو اكتشاف استشراقي في اطار اكاديمي كما يقول المستشرق الفرنسي بلاشير Blachere (الزيادي 1995: 218).

تبصر دي سلان المثمر لنص تاريخ ابن خلدون ينزع إلى التشديد على سمات النص المميزة ولكن ذلك في سياق ذلك التأويل المدمر الذي تعتنقه الايديولوجيا الامبريالية الفرنسية ومنظروها "أما بعد فإن تاريخ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون من نفائس الكتب وهو معتبرٌ الآن كما في عنفوانه، اورد فيه المصنف أخبار الأمم كلها من ابتداء الدنيا إلى اوانه، ومن فصوله

المرغوبة فيها الفصل الذي يشتمل على أخبار برابر المغرب وقبائلهم، وسير الملوك وشمائلهم." (ابن خلدون 1847: المقدمة).

فكان سعي الاستشراق ووعيه لاكتشاف التاريخ والفكر الاسلامي لا من اجل المعرفة الثقافية المفيدة بل من اجل التحكم والادارة والسيطرة، ولرسم سياسية تسعى لبناء عمليات انتاج المجتمع المغربي ليكون مستعداً للقبول والاحتفال بالبني الجديدة التي صنعها الاستعمار، ولتحريك الشعور العام للتعبير عن ارادة متمردة على التاريخ لخلق رأي جديد يكون تمثيلاً لما رسمته سياسة الاستعمار لتحقيق الاشتمال على الشعوب الخاضعة لسيطرة الغرب (ابن نبي 1969: 5) "بفتح مملكة الجزائر على يد جيوشنا المنصورة صار تحت حكمنا هذه البلاد، فيقيل من دولتنا في ظل ظليل ما لا يحصى من عباد، خاطر في بال سعادة وزير الحرب انه من لوازم الامور، أنْ يتعرف احوال هذه الأقاليم في ما مر من العصور، وكان لا يخفى عنه فضيلة كتاب ابن خلدون وارتفاع مثابته، وانه المطلب الذي يستخرج المطلوب من قاع غيابته." (ابن خلدون 1847: المقدمة).

استعمال واستغلال نص ابن خلدون التاريخي انه بالضبط ما يمكن ان نسميه حيازة معرفة تاريخية واستعمالها بطريقة فعالة. وجهد دي سلان العقلي ووعيه الحميم لأهمية نص ابن خلدون التاريخي واستحضاره لإعادة انتاجه وفق ايديولوجيا مأمورة "فأمرني اسعده الله أنْ انسخ هذا الكتاب واصحح نصه وازيل عنه الغلطات، وبعد النظر في طبعه في دار الطباعة أنْ انقله إلى اللغة الفرنصوية في اقرب الاوقات، فشمرت ذيلي في طاعته، امتثالاً لاشارته، وجمعت من اماكن شتى ست نسخات من هذا الكتاب، ونسخت النص واخترت من الروايات ما ظهر لي ادنى إلى الصواب، ثم بعد طبعه سميته الكتاب المغرب في تاريخ الدول الاسلامية في المغرب ليكون العنوان دالا على مضمونه واليه انسب." (ابن خلدون 1847: المقدمة).

أسطورة الفتح العربي .. المجتاحون الشرقيون

ارتكزت عمليات الاستشراق الفرنسي في تحقيق الرؤى والاهداف الاستعمارية لفرنسا على استرايجية تقوم على محوري: المعرفة التاريخية للمجال المغربي من خلال ابن خلدون وتراثه التاريخي "العبر"، وعلى الاسلوب الذي يستطيعون من خلاله تفتيت البنية الثقافية المغربية وانتاج

وصناعة مجموعة من الازواج المتضادة بالاضافة الى اعتناق عقيدة الاقصاء لأحد العناصر المشكّلة والمكوّنة للبنية المغربية وهم العرب وذلك من خلال سرد عابث ومزيف لما اطلقوا عليه الغزو الهلالي الجامح. اصبحت رؤية ابن خلدون –التي تم تفسيرها لتخدم مصالح فرنسا في المغرب– حول الصراع بين قبائل البربر المستقرة وقبائل العرب تحتل مكانة مهمة في الخطاب الاستعماري–الاستشراقي الفرنسي وفي مركز الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية في المغرب. ومن خلال هذه الرؤيا المشوهة لتاريخ ابن خلدون الاستثنائي نستطع القول أن مستشرقي الاستعمار الفرنسي فَقَدَوا اخلاصهم لنص تاريخ ابن خلدون باعادة تأليفه وتحريره وترجمته بما يتناسب مع مروياتهم الايديولوجية واسطورتهم المتحيزة. وقراءة المستشرق الاستعماري لنص ابن خلدون لتاريخ شمال افريقيا وتحريره انما هي اعادة كتابة واعية وانعكاس لعالمه وبيئة فكره الذي يسعى بكل امبرياليته لارساء قراءة مختارة مفضلة لديه يثبت بها سلسلة مروياته الدالة على كنه رغباته في التوسع والسيطرة.

يبني المستشرق الاستعماري ومؤسسته الاستعمارية أساطير وقصوراً من الايديولوجيات ترتجل البنى الثقافية للمغرب العربي من خلال الاستيلاء على نص ابن خلدون التاريخي والمعروف بقوة في تاريخ المغرب وخطابه النهضوي منتجاً تفسيراً ونصاً جديداً يسعى إلى تأويله تأويلاً مفعماً بالتزوير. وجاء عمل المستشرق الاستعماري على نص تاريخ ابن خلدون عملاً ايديولوجياً واعياً إلى ممارسته مغرّبة لابن خلدون ونصه. وحلله تحليلاً زمنياً وكأن نصه جاء في سياق تحولات تاريخية لتؤثل مجد فرنسا النزيهة.

لدى قراءة عدد كبير من المؤرخين المعاصرين، لا سيما المتخصصين منهم بتاريخ الشمال الافريقي الذين درسوا الشعب والحضارة في المغرب العربي، تتركز الاهمية الاساسية لمؤلف ابن خلدون، الذي اتاح رؤية الماضي الجيوسياسي للمجال المغربي بشكل واضح (لاكوست 2010: 320). وتزويدنا مباشرة بتفسير كامل للازمة التي وضعت حدا لتطور المغرب الاقتصادي والاجتماعي، من خلال تصورات ينتجها مؤرخون معاصرون، في لحظة تاريخية معينة متمثلين ايديولوجيا استعمارية ومستشهدين مراراً بابن خلدون المستشرق الذي يسعى لتفسير التاريخ العربي لاول مرة من منظور الثنائيات المتناقضة البدو/الحضر، العرب/البربر، وتترسخ يقينيات القوة

المتجولة التي يمتلكها الاستشراق الفرنسي في تفسير تاريخ المغرب وتحليل ازماته التي نتجت من الغزو الجانح لافريقيا الشمالية من قبل قبائل رحل جاءت من الشرق، هما قبيلتي بني هلال وبني سليم (لاكوست 2017: 127).

الهمت فكرة ابن خلدون مؤرخين معاصرين صاغوا هذه الموضوعة، وابعدوا جميع الصور التاريخية التي لا تؤدي الى تحقيق طموح الاستعمار ومصالحه في المجال المغربي. وقامت ايديولوجيات الاستعمار من خلال آليات الاستشراق الفرنسي بتحرير نصوص ابن خلدون التاريخية وترجمتها الى الفرنسية مع افتقارها الى الدراسة الموضوعية المستندة الى قيم الحقيقة العلمية. ان موضوعة التناحر البدوي–الحضري، العربي–البربري، قد ظهرت منذ بدايات استعمار الجزائر (لاكوست 2017: 132)، وقد استخدمت ترجمة مقدمة ابن خلدون سنة 1863 لتقدم لهذه الموضوعة، التي اصبحت شبه رسمية وتحتل مكانة استثنائية في الخطاب الاستعماري–الاستشراقي الفرنسي، وتكريساً استثنائياً ومتألقاً للتقنية الاستشراقية العلمية الجديدة، واحتفالاً بالنصوص الخلدونية الاستشراقية المحررة والمترجمة والتي اصبحت قابلة للاستعمال والتي تنفي المعرفة التاريخية الايجابية لدى ابن خلدون وتؤكد موضوعة مؤرخي العصر الاستعماري المزيفة (لاكوست 2017: 133).

ان هذا المُشاع والمفتعل الناشىء من أطروحات الفعل الاستعماري والاستشراقي الفرنسي الساعي للاختراق والهيمنة هو ما افرز ذلك التعارض بين البدو والحضر. وان مؤرخين معاصرين يصوّرون الفكرة المُعتنقة عن اعمال البدو العرب الجانحة، تحت مسميات: "زحفة"، و"غزو"، و"هجمة" (لاكوست 2017: 138). ونظرية الغزوة الهلالية، والانقسامات الثنائية المتناقضة البدو /الحضر زائفة تخفي وتحجب خلفها الفاعلية العملية الكامنة في تحقيق الرؤية الاستشراقية الفرنسية في المجال المغربي. بالاضافة الى لااخلاقيتها ومناقضتها وتهديدها لقيم الحقيقة واحترام الذات (لاكوست 2017:141). ان الاستشراق الذي استعمل نصوص ابن خلدون بعد تحريرها وترجمتها وتقديم العديد من المقالات لتفسيرها لم يكن استشراقاً يخصص المعرفة التاريخية بالاستناد الى الموضوعية وانما بالاستناد الى التوهم الذي لا وجود له في نصوص ابن خلدون المعتبرة (لاكوست 2017: 144). ان تصور الاستشراق ومنظروا الذات الفرنسية الاستعمارية

تمثل في كنهها جوهر التاريخ السلبي المغربي بافتراض التناقض الاساسي بين البدو والحضر، وبين العرب والبربر، ان التمايز الذي تشيعه هذه الانقسامات المتناقضة تخيلي اكثر من اي شيء آخر ولا يلتقي مع الحقيقة التاريخية. الامر يتعلق بحُمى التوسع والسيطرة الفرنسية وباسطورة لقيت الاستجابة من مؤرخين انقياء من التحيز يحترمون مناهج وقيم علم التاريخ، لكن دراساتهم ما زالت مليئة بالتواطؤ بالرغم من انها تدحض هذه الفكرة المعتنقة في العديد من نواياها الاساسية (لاكوست 2017: 148). ان رفض الاذعان والايضاحات المجمعة اللافتة للنظر العلمي والدلائل الصحيحة المتراكمة، والاصرار على الاستمرار في الخطأ على صعيد هذه الموضوعة المتخيلة التي انتجها المستشرقون من منظري الذات الاستعمارية، وجعلها موضوع كل تأمل حول التاريخ المغربي، وهي تصور عبّر عن نفسه عَبْر بُنىً عرقية استثنائية انتجها العقل الفرنسي المتفوق بالاستناد إلى "الرسالة السامية الفرنسية". وانجز الاستشراق تقمص موضوعة الغزو الهلالي وتحول انشاء اسطوري الى آيديولوجيا استعمارية تم انتاج المعرفة بها وبنائها بوعي، وبوصفها نضالاً بحثياً ذو رؤيا انطبعت في الاطار الايديولوجي الاستعماري. فالمنظرون ومخططي السياسة التوسعية الفرنسية جهدوا منذ بداية احتلال الجزائر، في تشتيت عنصري بناء التاريخ المغربي: "العرب" و"البربر" (لاكوست 2017: 148-149).

ان واضع نظرية التناقض البدوي والحضري وغزوات العرب هو غوتييه E.F. Gautier. الذي اصبح -بمثابرته قادراً على تحقيق الفَرْض الفعلي الاستشراقي لموضوعة الغزوة الهلالية- احد عبقريات منظري الاستعمار (لاكوست 2017: 150). هرطقة غوتييه التاريخية المستنكرة التي جلّت نصوص ابن خلدون في أنظار الاستعمار الفرنسي جاءت بالتحديد من ذلك الوصف القاصر الذي اصطنعه استاذ جامعي يحمل نظاماً عاجزاً من التفكير ودلالة السفاهة -كما يقول الجيوسياسي الفرنسي إيف لاكوست- جلية في رؤيته، وغوتييه رائد الاستشراق الفرنسي المشوش استطاع صناعة هذا النسيج من الاكاذيب الظافرة المخالفة لواقع الحال في المجال المغربي. انها خصيصة الكذب الجلي المتمثلة بذلك الادعاء الفريد -الذي ينطلق من نقطة الاوج للثقة الاستشراقية بالنفس كما يقول ادوارد سعيد في فريدته الاستشراق- (سعيد 2001: 79) ان افريقيا الشمالية -في سياق الرؤيا العابثة المقيتة المفعمة بالتلاؤم مع التاريخ العربي الاسلامي- كانت

دائماً جزءاً من امبراطورية اجنبية (لاكوست 2017: 151). ولكي يمتلكوا القدرة على الجذب للنظرية الاستشراقية والقدرة على السيطرة على الآخرين لكي يعطوا ثقلاً أكثر للنظريات ذات الابعاد الانقسامية والاقصائية، والتي صممت لتخدم النزوع الاستشراقي–الاستعماري نحو المجال المغربي. وانطلاقاً من مركزية نظرية الاستشراق التي تستند الى الكذب الجلي ينسبون تقسيم الواقع الانساني للبنية الثقافية المغربية لابن خلدون؟ (لاكوست 2017: 151–152). ولم يكن غوتييه الوحيد في تطوير هذه الايديولوجيا الاستعمارية. فقد استسلم جوستون بوتول للأطروحة الملعونة ولمخدر السوء المتمثل بالعرقية (مغربي 2014: 50). ويرى جوستون بوتول ان ثنائية التناقض التي انتجها الاستشراق ومنظرو الذات الفرنسية: الحضر والبدو، اساس الازمة الحضارية المزعزمة في افريقيا الشمالية (لاكوست 2017: 153). وأن تاريخ ابن خلدون ووجهة نظر مقدمته يمكن اعتبارها بداية لعلم الاجتماع الوصفي، والذي يشمل تحليلاً دقيقاً لشمال افريقيا، وبحسبه مازال ما جاء به ابن خلدون في مقدمته وتاريخه ينطبق على البناء الاجتماعي المعاصر في الشمال الافريقي كله (بوتول [د.ن]: 26). وقارن بين زحفة القبائل الجرمانية والاسكندنافية البناءة للتاريخ الاوروبي وزحفة القبائل البدوية الجامحة المدمرة للحضارة في افريقيا الشمالية (بوتول 1964: 62–63). ان موضوعة احتلال العرب لمنطقة البربر هي النظرية الرئيسة التي يطرحها الاستشراق، قد كانت لها في الايديولوجيا الاستعمارية أهمية كبيرة وليس ثمة ما يدهش أكثر من أن الذين صاغوا الاطار المعرفي الغريب الذي سعى النزاعون للاستعمار ليعاينوا المغرب من خلاله، لتقرير مصير المغرب القومي سعوا "إلى تمجيد الأسماء العظيمة في الحضارة العربية، قد اعطوا أهمية كبيرة لابن خلدون. فهل بمقدورهم ان يتصوروا أثمن من هذه الضمانة لنظرية مفلسة؟." (لاكوست 2017: 155).

ان هذه الاسطورة التي حوّلها المستشرقون الفرنسيون من التاريخ الى الواقع المغربي لا بد من ازالة اسطوريتها من خلال الكشف عن تزويرها للحقيقة العلمية ومنافاتها للعقلانية وخلوها من قيم النزاهة والسوية واعتناقها لعادات التحيز المتأصلة في العقل الهاجع للثقافة الغربية. فالخطاب الفرنسي الاسطوري هذا ذو لغة تقعيدية تتحول من التاريخ الى المرويات الايديولوجية وتحاول من خلالها تطبيع الثقافة المغربية والتاريخ المغربي وجعله خارج التاريخ.

هل وعى المستشرقون الفرنسيون اسطورتهم الايديولوجية التي اسرفت في تدشين خرافاتها داخل اذهانهم الانسانية. ان الدلالات الضمنية لهذه الاساطير عملت كمنظومة وآلية لحفز السياسة الاستعمارية لتحقيق اوهامها في السيطرة الثقافية. ان المنظور الثقافي الذي اعتاد عليه المستشرق الفرنسي في رؤية العالم. عبارة عن آلة نفسية تجعله على الرغم من وعيه للأسطورة الايديولوجيا التي يعيها في ذهنه الانساني ثابتا عليها. ويمكن تفسير ذلك بأن المستشرق يبتهج لأنه يرى في وعيه أن هذه الاسطورة ستُزهرُ حلم الامبراطورية.

سعت فرنسا لاعادة كتابة تاريخ المغرب لتحقيق اهدافها في الالحاق والسيطرة على المجال المغربي ووجد المستشرق الفرنسي آيديولوجيته الآثمة ومعرفته –التي دعمها الاستعمار– المنظمة المتنامية بتاريخ المجال المغربي وبشكل استثنائي بكتاب العبر لابن خلدون الذي شرح فيه تاريخ المغرب باسلوبٍ عقلاني واضح بالاضافة إلى مخزون معرفته التاريخية الموثقة، والمستند الى آليات التحليل العميق للصور والحوادث التاريخية وتأمله وتحليله للبنى الاجتماعية والفكرية والسلالية (باتسييفا 1986: 89). واعتمد مؤرخو الفترة الاستعمارية اعتماداً كبيراً على ابن خلدون الذي أُخضع للتحليل وأُعد ليمثل الاستشراق من حيث هو النموذج الاكمل للمثال الثقافي الابرز الذي يقوم بمهمة التصحيح ومعالجة الازمة المصطنعة بابراز دور البدو في تاريخ المغرب، وانطلقوا بشكل خاص من اطروحة، جورج مارسيه الجانحة: العرب في بلاد البربر التي نشرت سنة 1913،[5] التي اضفت عقلنة مشوشة–مشوهة مسوّغة النزوع الاستعماري الفرنسي من خلال صناعة تمايز وهمي غير حقيقي صار مصدراً لاطروحات لا يستهان بها من المعرفة

[5] ومن أهم آثار جورج مارسيه: أصل ومغزى الوشم لدى قبائل البربر، سكنى البربر قديماً وحديثاً، العبارات البربرية من الوثائق غير المنشورة في تاريخ الموحدين، ومظهر اللغة البربرية، وتصريف بعض افعال اللغة البربرية، ولغوياتها، ورقمها، وأسماؤها، وإله الاباضية، الزواج في شريعة العرف، الواجبات في شريعة العرف، التملك، قرابة الأمهات، العقيقي، نجيب (1965)، *المستشرقون*، دار المعارف بمصر، ط3، ج1ص261.

الفعالة لمؤرخين لاحقين كما يقول جاك بيرك (أومليل 2005: 117). واستطاع الاستشراق الفرنسي تنمية نمط من المعرفة يحقق بواسطته الولاء للاستعمار من خلال المواهب المتفوقة التي انتجت صور ومفردات اجرائية وثنائيات متعارضة مثل: عرب/بربر، رحّل/مقيمون، جبال/سهول، عرف/شرع، وما ذلك سوى امتداد لثنائية ميتافيزيقية ستؤدي عملها بفعالية مذهلة باقامة التمايز بين الجوهر والعرض وتضرب بالمعرفة التاريخية عرض الحائط (أومليل 2005: 148). وتجلت معرفة فرنسا بابن خلدون في تلك اللحظة التاريخية التي بلغ فيها استعمار الجزائر ذروته، ومما لاشك فيه أن هذه الامور كلها هي التي حملت دي سلان على ترجمة المقدمة وتاريخ البربر. وكل المؤرخين الفرنسيين المتخصصين في تاريخ شمال افريقيا القروسطي، قد استمدوا الجزء الاساسي من مصادرهم من آثار ابن خلدون (مغربي 2014: 47). ومن المثير –كما يقول إرنست غيلنر *Ernest* Gellner– أن نظر ابن خلدون السوسيولوجي البارد يلمح –وفي سياق عقلاني استثنائي مجرد من العواطف – المكونين الرئيسيين في المجال المغربي التقليدي –رجال القبائل وسكان المدن، وأن تأريخه المستند إلى أداة الملاحظة وهي احد المنطلقات الاساسية لبحوثه التاريخية صوّبها باتجاه تلك الهجمات الضارية التي يقوم بها البدو ستكون مادة استراتيجية لبناء الاطروحة المركزية للخطاب الاستشراقي–الاستعماري الفرنسي "وغالباً ما يتم اقتباسها" (غيلنر 2005: 178).

يشكل الانسياح الكبير للمغرب (ابراهيم 1996: 50–55)، وهو عبور العرب الرحل إلى بلاد المغرب حوالي 1050م/441هـ وهو ما يسمى عادة بالغزو الهلالي، تاريخ البلاد خلال القرون الثمانية التي تفصل بين الفتح العربي للبلاد والاستقرار العثماني (مارسيه 1991: 5). وما أن تقع أعين مؤرخي فرنسا ومستشرقوها الذين يعملون في السياق الاستعماري الفرنسي على نص ابن خلدون التاريخي حتى تبدأ عمليات التزوير والتشويه والعبث وتحملق عدسات عيونهم الامبريالية في نص ابن خلدون لتلاحظ ان هذا الغزو الذي ظهر من الوهلة الاولى كإعصار مخرب (مارسيه 1991: 233). وتلي الادوات العلمية للمؤسسة الاستشراقية الفرنسية مزيد من القراءات لنص ابن خلدون المُحرَّف لتأكيد الآثار الاقتصادية للغزو أو "الكارثة العربية" كما يسميها مارسيه (مارسيه 1991: 238).

وينطلق الاستغلال السوسيولوجي الامبريالي لخلق حركة مشوهة تأتي المحاولة لترسيخها في البناء الثقافي المغربي ويقود مارسيه وآخرون حركة تحرير المغرب من المشرق بالاستناد إلى ابن خلدون فيأتي عنوان الجزء الثالث من كتابه "بلاد البربر محررة من المشرق"، ويبدأ بكتابة تاريخ حركة التحرير ونشأتها وتفسيرٍ لا ينتمي الى ايٍّ من تلك الاتجاهات العلمية والاخلاقية التي تفسر اسباب الحوادث التاريخية "لقد تحررت بلاد البربر من الوصاية الشرقية، بقطيعة المعز الزيري مع خليفة القاهرة الفاطمي، وأما الغزو الهلالي فقد جعل هذا التحرر تاماً." (مارسيه 1991: 264).

وفي لحظة تاريخية معينة يخلق ضمير المؤرخ والمستشرق الفرنسي الاستعماري تاريخاً متخيلاً، ويهدم تاريخ المغرب العربي–الاسلامي ويحطم هويته ويؤرخ لبداية جديدة لها –بحسبه– من التاريخ المرابطي والموحدي "دقت ساعة المغرب وسيحصل شمال افريقيا على حكامه المتعاقبين من المغرب." (مارسيه 1991: 264). وما يلفت النظر في الخطاب الاستشراقي الاستعماري في مسألة الزحفة الهلالية وآثارها المتخلية في خطة مارسيه الاستعمارية تضمنها على طموحات متخيلة تسعى إلى أن ترتقي إلى تتويج العمل الاستعماري متمثلاً في انفصال ما يسمونه العالم البربري[6] عن المشرق (مارسيه 1991: 270). بالإضافة إلى التأكيد الشاذ على أن تاريخ المغرب –بعد العبث به– يبدأ تأسيسه ونهضته من المرابطين (مارسيه 1991: 271). وصعوده وأوج ازدهاره من الموحدين (مارسيه 1991: 288). ويرى مارسيه ان تاريخ الموحدين على

[6] لا يزال تأثير المشرق على مسلمي المغرب بحسب لويس ماسينون ولا سيما في ناحية الجامعة العربية ولكن تيار التطور يزداد انحرافاً باتجاه باريس. وتنزع فرنسا في سياستها اتجاه المغرب نزعة ترمي الى فصل المغرب عن العالم الاسلامي. والسعي الفرنسي الاستعماري الحثيث للقضاء على نهضة اللغة العربية بين البربر. وعلى الرغم من ان البربر يخالفون العرب جنساً ولغة، لكنهم ينتمون الى الاسلام ولعبوا دوراً هاماً في التاريخ الاسلامي في العصور الوسطى. وتأتي محاولة فرنسا لفصلهم عن تاريخهم، جب، هـ.أ، وآخرون (1934)، *وجهة الاسلام، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الاسلامي*، اشرف على تحريره: جب، نقله عن الانجليزية: محمد عبد الهادي ابو ريده، راجع الترجمة وقدم لها: جب، القاهرة، ص67، 81.

الاخص هو الذي أوحى إلى ابن خلدون بوضع حتميات للدول التي هي اشبه بانظمة لكائنات حية (مارسيه 1991: 314). ويستند على ابن خلدون ليبين اثر الدور الذي قام به الغزو الهلالي في النظام السياسي، ودوره ككارثة موقوته (مارسيه 1991: 327). حملت رصاصة الرحمة الى افريقيا الشمالية (ماسّيه 1988: 82). ومؤخراً سار على خُطى المستشرقين الفرنسيين في هذه التفسيرات بعض مؤرخي المغرب والذين نستطيع تسميتهم بـ "مستشرقي البربر". ومارس التجربة الاستشراقية والانفعال ذاته روجي ادريس في خاتمة اطروحته حول افريقيا الزيرية. ومن خلال التصور القاصر للنصوص يجعلون من غزوة بني هلال للمغرب بؤرة تحول سلبية في تاريخ المنطقة (العروي 1994: 95). واصبح موضوع دراستهم المتوهَم يستعين بقاموس مصطلحات الاستشراق التقني "كارثة سياسية واقتصادية" "لم يسبق لها مثيل"، "غزوة" "زحفة بني هلال" (ادريس 1992: 245). وادعاءات قاصرة اصبحت مقبولة لديهم "قبائل عربية مشاغبة، "قبائل بني هلال وبني سليم" (ادريس 1992: 247).

ولترسيخ ثنائية ضاربة الجذرية دعم المستشرقون الفرنسيون تلك القوة الواهبة للحياة التي استلهمها المؤرخ المستشرق الماهر من موضوعة "الغزوة" واستحسان توظيف قوتها العلمية من جانب التأكيد على الاسباب السياسية والدينية والايديولوجية ومن جانب آخر بناء تغريبة هلالية استشراقية ناهبة لتاريخ المغرب ومحققة خرابه وانحطاطه (دغفوس 2005: 151). كانت الفرضيات العلمية متطابقة مع فرضيات السياسة الاستعمارية التي كانت تعتبر ان السكان المستقرين سيكونون اقل رفضاً للتدخل الاستعماري، كما كان التدخل يسعى إلى استغلال التنوع الاثني استغلالاً سوسيولوجياً (بوطالب 2002: 35–36). وبدل السعي لتقرير منهجية علمية من منطلقات موضوعية تكون فيها ترجمة ابن خلدون في الثلاثينيات على يد دي سلان Deslane فرصة لتصحيح المسارات وتعميق المرجعيات، فإن أغلب المؤرخين والمستشرقين أخذوا منها ما يناسب فرضياتهم وأطروحاتهم، وخاصة فيما يتعلق بالكشف عن تلك الثنائية المتناقضة: السكان المستقرين/البدو الرحل (بوطالب 2002: 36). واعاد باحثوا المستقبل الفرنسي المنطلق من اسس استعمارية يتم من خلالها صياغة تاريخ اجتماعي ممسوخ لا يرتكز على اي اسس مادية واقعية، ويتولد من هذه الابحاث خليط من التحليلات والمعطيات المتناقضة

مثل التعارض التاريخي بين العرب والبربر، بين المستقرين والرحل، بين الاسلام (الشريعة) والعادات (الاعراف)، بين بلاد المخزن وبلاد السيبة، بين المدينة والبادية (بوطالب 2002: 37).

الاستشراق مجال معرفي صاغ الغرب فيه نص الشرق ليضعه موضع التنفيذ، ويعمل بتقنيات ومناهج مخصوصة تجيب عن انتظارات سياسية (حميش 2010: 17). انه الاستشراق المتخصص، الذي اقامت له حكومة "الوفاق الوطني" الفرنسية، بدوافع سياسية واقتصادية، "مدرسة اللغات الشرقية الحية" في باريس 1795 (حميش 2010: 36–37). ويمكن القول ان تشكيل صورة المغرب الوسيط في الاستشراق الاستعماري جاءت بواسطة المستشرق الفائق المعرفة الذي مارس الاستيلاء على تاريخ المغرب من خلال اعداد وتجهيز نصوصه للتحريض على المواجهة من خلال التخريب الموجه المستند الى الموضوعة المتوهمة "عرب الغزو والكارثة" (حميش 2010: 54)، وهي الصيغة الاعتقادية للمذهب الاستشراقي الاستعماري، التي ارتكزت عليها لتأدية الغرض، ووُجِدت في رؤاها، وسبلها الباهرة، وفي نصوص ابن خلدون، وصارت خطاب الاستشراق ومركز نظريته، واعتنقها وصنع بناها المستشرقون الاستعماريون قبيل او خلال الفعل الاستعماري (حميش 2010: 56).

وما يفرضه المستشرق الاستعماري من فعل لرسم السياسة الفرنسية يجعلنا نمتلك ذلك الاحساس العميق بالدهشة وبنوع من عدم التصديق امام مرويات ايديولوجية تسعى لتعرية ثقافية لضحاياها المُستَعْمَرين. وما يفعله في هذه المرويات التي تصنع معرفة قائمة على افتراضات تؤدي إلى انتاج ممارسة معينة (الاستعمار). ويعبر المستشرق الاستعماري في نص تاريخ ابن خلدون عن صوته وفي النص الذي حققه نرى عياناً تلك التناقضات والتنافرات المتنوعة. والاستعارة الحية وتتالي التأويل لنص ابن خلدون التاريخي عند المستشرق الاستعماري هو ما يخدم مصالح فرنسا. واستعارته الحية للنص الخلدوني الذي حرره وأوله.

انشاء اندريه جوليان الظلي للاستعمار اصبح مكشوفاً للمؤرخ المحترف الذي يستطيع بالقراءة الواعية لتلك الانشاءات فهم تلك الاطراءات لابن خلدون الاستثنائي "لم يكتف ابن خلدون بحرية كبيرة في الحكم ولم يتقيد بالروح النقدية فحسب بل تجاوز ذلك إلى ضرورة الفهم والتفسير."

(جوليان 1983: 14). ويحاول المؤرخون والمستشرقون الفرنسيون في افتراضاتهم الجريئة التي تحمل على اعادة النظر في التاريخ التقليدي لشمال افريقيا. من خلال الموازنة الآتية التي أتى بها جوليان من خلال انتاجه معرفة استعمارية مستندة –بحسبه– الى نص ابن خلدون برانس+بتر=حضر+بدو رحل، وهكذا ومن وجهة نظر جوليان فإن الصراع الدائم بين الحضر والبدو يحتل المقام الأول في سياق الفتح العربي. وقد تُلقي هذه المقابلة الاضواء الكاسحة على تاريخ البربر لو أمكن مقايستها بالترتيب الذي وضعه ابن خلدون وتبين الواقع الجغرافي والاقتصادي من خلال النظرة الخيالية للأنساب (جوليان 1983: 30).

ويدعي المستشرقون الفرنسيون في أحكامهم على اسناد الرواية التاريخية المغربية التي تملؤها العاطفة السلبية تجاه تاريخها الذي تدفعه سيكيلوجية الوهم في استشراف النهضة المغربية "تستجيب لنوازع النفوس التواقة إلى الملاحم لا تثبت أمام مكافحة النصوص. وأن تاريخ المغرب إلى زوال الدول الثلاث الحفصية والوادية والمرينية، أي اواسط القرن السادس عشر كان آخر الأمر سعيا ضائعا إلى احياء الماضي وركودا طويلا ثم انحطاطا بطيئا" (جوليان 1983: 173). ان "مقتطفات جوليان من غوتييه ومارسيه" هي بنية تحتية لنظرية جوليان في بناء المشروع الاستعماري الفرنسي. ألهم الانحلال الذي لاحظه ووصفه مؤرخ عبقري هو ابن خلدون، ولولا ملاحظاته لما امكن لـ ج. مارسيه Georges Marcais بعبقريته الاستعمارية المتألقة وبانشائه الاختلاقي صناعة نسيج من نص ابن خلدون التاريخي ليقدم تلك الادعاءات الزائفة عن زحفة بني هلال الجانحة بحسبه، ويتناسق مارسيه وغوتييه وجوليان ومنظروا الاستعمار الفرنسي بمعالجة مشكلات استعمارهم في العمل على موضعة مقاطع من تاريخ ابن خلدون الاستثنائي واسقاطها على الواقع الاستعماري وسردهم تاريخ ابن خلدون بابعاد استعمارية منطلقين بما يصفونه تجربة "القرون المظلمة" التي عاشها المغرب حينذاك (جوليان 1983: 175). ان عقول هؤلاء المنظرين الفرنسيين المتفوقة شديدة النزوع الى المعرفة لتاريخ المجال المغربي والتي مكنتهم من ابتكار تقنية المحرك الحيوي لهذه الفلسفة التشاؤمية حول حبك الثنائية بين البدو والحضر لاعادة تركيب وصياغة المجال المغربي من جديد ليستطيعوا اسقاط ماضي المغرب الكبير وحاضره، لذا فإن المقتطف الذي اقتطعه دي سلان من كتاب "العبر" ونقله إلى الفرنسية

تحت عنوان وضعه هو نفسه "تاريخ البربر" يبقى المصدر الاساسي خاصة بالنسبة إلى القرن الرابع عشر حيث تكونت الممالك الوارثة للسلطان الموحدي (جوليان 1983: 176).

انشاء غوتييه هو ما يمكن اعتباره مسيح جوليان وانجيله وهو ما جعل وعيه ناشطاً للاستعمار الفرنسي وبمهمة وعيه لذاته الاستعمارية "الجيش المتمتع بحيوية لا تنضب ليست له شخصية ايجابية" ويدرك أهمية مساهمة المعرفة التاريخية في تحقيق الطموح الاستعماري "وانه يكتفي حتى بابسط الاشياء بدور "الظل الابدي" وان المشكلة التاريخية التي تندفع من منظري الاستعمار أو مؤرخين جدد يسعون لتحقيق الذات الاستعمارية من خلال تاريخ جديد للمغرب يلغي فيه ثنائية العمران ويُحل أُحاديته بحسبه ليتخلص المغرب من ذلك السبات المنكود "أن الخيبة المطلقة نتيجة لتسلسل خيبات محدودة." ولا يقتصر تسويغه النظري للاستعمار بل يتعدى الى الاساءة من خلال عمليتي: التحرير والاستعمال للتاريخ أي تاريخ ابن خلدون، وتتواشج الجغرافية مع دلالات السيطرة لتشكل انشاءً لارتقاء النظرية الاستعمارية ونحتاً لما اسميه "انتقام الجغرافية" من خلال اعادة بناء العلاقة المتواشجة بين الجغرافية والاستعمار لانها تقدم تبريراً لتأويل واختلاق تاريخ يحقق المسعى الاستعماري في المجال المغربي "لقد رأينا البربر لم يصب بنقص جنسي، ولكن لعنة جغرافية نزلت عليه." وصاغ غوتييه في قوته نشاطه الاستعماري المعهود ومن خلال انشاءٍ حداثي استعماري تختفي فيه تناقضاته ورؤاه لإلغاء التاريخ وهي تعبير صادق واقعي عن المشروع الاستعماري "ان مدنية مستقلة بذاتها وفناً وأدباً وحتى لغةً وشعباً شاعراً بوجوده ودولةٌ منظمة هذه كلها كماليات باهظة جداً رأسمالية، والمغرب لم يستطع قط التحصيل عليها بمفرده. فهذه البلاد الصغيرة لم يكن لها الجهاز المادي الضروري لتقيم البنيان الاجتماعي والسياسي الذي هو اساس كل مدنية." (جوليان 1985: 35-36).

يصم المستشرق الاستعماري آذانه أمام صراخ المغرب المتألم بل سعى ليمتلك ذلك الاستعداد لتقديم الخير لأمته الفرنسية. فهل وعى أنه يشطح نحو الخطيئة والمعصية وأذية الآخر في المنطقة المظلمة من عقليته. لقد ابهرته وتغلبت عليه فطرته التي دفعته لانجازية يرها ايجابية لتحقيق الفوز في مهمة غير مستحيلة. هل هناك ثمة شخصية مزدوجة للتعجب من "سلوك المغاربة الهمجي كما يصفه جغرافي فرنسي اشارة خفية الى اقصاء البربر، السكان الاصليين

لبلاد المغرب من دائرة اولى هي الاسلام ومن دائرة ثانية هي الشرق."[7] ومن ثم التمهيد لخلق اسطورة "المغرب المجهول" تعبر عنها مجموعة من الازواج الجديدة: العربي/البربري[8]، الأصلي/الوافد، المخزن/السيبة، الاسلام الرسمي/الاسلام الشعبي (العلوي 1993: 103–104). هل عبقرية المستشرق الاستعماري المتجلية كانت في رؤيته لنص ابن خلدون على انه مرجعية فرنسا وفي تأويله وتفسيره ليحل معناه الاصلي معنىً آخر هي المقدرة المعبرة عن ايديولوجيا الامبريالية، وتتجلى ايديولوجيا المقدرة بالذات في نص ابن خلدون التاريخي. عمل المستشرق الاستعماري يُشدد على المقدرة على القيام بذلك ويتحمل بعمله هذا عبءً هو صانعه ومحرره. وفي أفقه غير المحدود في تأويل نص ابن خلدون يأتي ليقدم الايديولوجيا لتتخطى أزمتها ولتعصف بثقافةٍ أُخرى لتتوج لا انسانيتها. المستشرق الاستعماري الانسان القادر الذي لم يستطع التزام الحقيقة أمام تأويله للنص الخلدوني لمصلحة فرنسا. ولم يكن ليعبر عن تمثيل مقبول عن الماضي.

ومن نص ابن خلدون التاريخي يظهر الميل من المستشرق الاستعماري إلى محاولة جعل التاريخ قضية استراتيجية. غير أن مثل هذا الميل يقضي على سبب وجود التاريخ الذي يسعى إلى تقديم تمثيل علمي عن الماضي. فمطلب الحقيقة هو المعيار. وتأويل المستشرق الاستعماري لابن خلدون تأويل تاريخي قصدي يسعى إلى تملكه وتقديم تمثيل مزور للماضي ليقدمه

---

[7] وللمزيد عن العلاقات الروحية بين المشرق والمغرب في ضوء تدهور الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية وتكريس البداوة، انظر: العدواني، محمد بن محمد بن عمر "من أهل القرن الحادي عشر الهجري=القرن 17م"، **تاريخ العدواني، كتاب في اخبار هجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر الاحوال والتقلبات السياسية والاجتماعية لمنطقة المغرب العربي واصول بعض المدن والقرى، والعلاقات الروحية بين المشرق والمغرب منذ الفتح الاسلامي**، تقديم وتحقيق وتعليق: ابو القاسم سعدالله، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1996،ص47–49، جوليان، شارل اندريه، **تاريخ افريقيا الشمالية، القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية**، ترجمة: المنجي سليم الطيب المهدي، الصادق القدم، فتحي زهير، الحبيب الشطي، مراجعة: فريد السوداني، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.

[8] وللمزيد عن فهم عميق لجدلية البداوة والحضارة، انظر: المغرب في فكر ابن خلدون، ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية، فاس، اكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، 2007، ص103–104 (ماوراء جدلية البداوة والحضارة، ابو يعرب المرزوقي).

للامبريالية. ويأتي المستشرق الاستعماري في هذه العملية المخيفة التي هو الشاهد الحي عليها ليمارس عملية المسح والازالة من خلال التأويل لارساء تاريخ يمتلىء بالتجني يخدم الامبريالية الممتلئة.

ان جُمل المستشرقين ومبالغات الاطراء التي يغدقونها على ابن خلدون تبرز اسبابها واضحة وضوحاً تاماً في السياق الاستعماري وفي ممارسة السيطرة في المجال المغربي. نشر المستشرق الفرنسي هنري ماسّه في المجلة الافريقية، سنة 1939 "ان مقدمة ابن خلدون تتعدى حدود الأدب العربي، لتتبوأ مكاناً من أروع الآثار الأدبية الخالدة على كل العصور والدهور؛ فإن عمق التفكير، وقوة المحاكمة، وسعة الاطلاع، ورهافة حس الانتقاد .. التي تتجلى فيما كتبه هذا المؤلف في القرن الرابع عشر.. لهي مما يحيّر العقول ويثير الإعجاب." (حميش 2010: 600). وخصص غوتييه[9] فصلاً طويلاً لابن خلدون في كتابه العصور المظلمة في المغرب "ان المكان اللائق لهذا المفكر في ذاكرة البشرية، هو وصف أمثال هؤلاء العظام ومع الأسف فإنه لم يوضع بعد في ذلك المكان؛ لأن الذين يعرفونه لا يزالون قلائل .. ان هذا المجد الدفين، يجب أن يبعث على الأقل عندنا نحن الإفرنسيين." (الحصري 1953: 257). اصطنع غوتييه نظريته حول ثنائية العرب البدو والبربر المستقرين من قراءته المفعمة بالسذاجة للمقدمة (قريسة 2006: 93). هل يأتي المديح الذي يطري به غوتييه ابن خلدون وعمله التاريخي المميز موضوعياً انه شخصية فريدة من نوعها من المؤرخين العرب المغاربة نظراً لتفوقه وعبقريته "ويحق للمغرب أن يفخر بابن خلدون ويضعه في مصاف هنيبعل والقديس اغسطينوس. ومن العجب حقا ألا يصادفك اسم ابن خلدون على لائحة العظماء في مكتبة القديسة جفياف بباريس

[9] من أهم آثار غوتييه: أخلاق المسلمين وعاداتهم، انبثاث لغة البربر في الجزائر، أوصاف عديدة للأماكن والحضر والبدو والتاريخ في شمال افريقيا، ممر ابن خلدون، العقيقي، نجيب (1965)، *المستشرقون*، دار المعارف بمصر، ط3، ج1ص251.

إلى جانب الرازي وأمثاله. وبإلحاح كلي يدعو غوتييه لإضافة اسم ابن خلدون إلى مؤرخينا الكبار أمثال غريغوار دي تور، وفرواسار وسالوست." (غوتييه 2010: 43).

دراسة غوتييه المتقنة الماكرة لنص ابن خلدون التاريخي اوحت اليه بتجلية عابثة بالماضي المغربي الذي عايشه وعاناه ابن خلدون ووعاه بعبقريته الفذة، وصل غوتييه الى ماضي المغرب الذي اكتسب وجوداً مزيفاً في ذهنه واصبحت الاطروحة التي وضعها لتحقيق السيطرة الفرنسية في المجال المغربي والتي سخر فيها معارفه الخبيرة بالمغرب واسرار ومبهمات بناه الثقافية وتاريخه "ففي بلاد المغرب انهزم المسلمون من اسبانيا وانهار بذلك العديد من الممالك البربرية فانهار المغرب المستقل بانهيارها وتبددت الآمال الوطنية. وجاء الاجانب ليبسطوا سيطرتهم. وعلى مرتفعات الجزائر العالية حل البدو الهلاليون نهائياً محل البربر الزناتيين." (غوتييه 2010: 44). انه مشروع غوتييه الاستشراقي وثورته الجانحة التي دعّمت رؤاه الساعية الى غايات السيطرة والالحاق ودفع تاريخ المغرب الى الخروج من الوجود بواسطة ابن خلدون المفسر المستشرق، ويمنح غوتييه المغرب الهدف والقيمة ليصبح أكثر قرباً الى الحقيقة –المتوهمة المرغوبة لتحقيق الفرض الفعلي– وتتمثل في ثنائية متناقضة للجغرافيا والانسان والتاريخ في المجال المغربي "وفي مغرب ابن خلدون ملامح من مغربنا اليوم. ففي كتابه تلاحظ التمايز بين التل والصحراء. كما نعثر على الشاوية والقبائل العربية التي كانت تقطن الجزائر، ويفسر لنا ابن خلدون كيفية سيطرة هذه الشعوب على مناطقها." (غوتييه 2010: 44).

الحيز النثري الذي موضعه ابن خلدون في نهاية تاريخه نراه في اطروحة غوتييه الفذ يمنح الشرعية لانشاءاته الاستشراقية المفرطة في رغبتها لازاحة المغرب عن تاريخه "ومن الغريب حقاً أن يكون ابن خلدون قد فكر في كتابة سيرته. ولعله قد أدرك ببصيرته الخارقة حاجتنا إليه في يوم من الأيام." (غوتييه 2010: 45). ويُحل غوتييه بناه الجديدة الأُحادية العنصر التي سعى لترسيخ تمايزها، وعملية التحويل التي يمارسها في المجال المغربي ببلاغة استشراقية من أجل ما يعتقده انه خلاص المغرب من ازمته وتحقيق لطموحه القومي "عاشر ابن خلدون بدو بني هلال الذين أمو المغرب وباتوا يشكلون عنصراً بشرياً جديداً منذ نهاية القرن الحادي عشر. وكانوا حتى القرن الرابع عشر متميزين عن الوسط البربري الذي نزحوا إليه. وقد عاشوا في عزلة جنوبي

تونس بمنطقة هدنة واتخذوا بسكرة عاصمة لهم. وكانوا يعملون في خدمة السلاطين لحسابهم في الغزو على غرار حرب المئة عام في اوروبا. وكتب عنهم ابن خلدون الشيء الكثير." (غوتييه 2010: 49). انشاء غوتييه تركيب معقد من الشرور، نبّاش مُسرفٌ في الفتنة في بناء القيم المغربي، ويظل غرض انشائه المتفقه بشكل جلي يمثل سعياً مرضياً "لقد كتب الباحثون عن قضية رابط الدم التي طالما اثارت فضولهم فهل يمكن القول أن الدم العربي قد حل محل الدم البربري." (غوتييه 2010: 236).

وتستمر الاطروحة الاستشراقية لتلهب وجداناُ قومياً يعزز الطموح الاستعماري الفرنسي وتدفع اجيالاً من المستشرقين لتقديم الدعم لتحقيق السيطرة. أعد برونشفيك Robert Brunshvig (1901–1990) اطروحتيه للدكتوراه أثناء إقامته في الجزائر واطروحته الرئيسية "بلاد البربر الشرقية أثناء حكم الدولة الحفصية، منذ بدايتها حتى نهاية القرن الخامس عشر"، ويقصد من بلاد البربر الشرقية: تونس، وهو التعبير الذي اعتنقه المستشرقون الفرنسيون إبرازاً لاسطورة عنصرية متدفقة: بربرية مقابل العروبة (بدوي 2011: 93). تعتبر المقدمة منتوجاً مستمداً من كامل الغرب الاسلامي الذي تمكن ابن خلدون من معرفته، بجميع مراكزه السياسية والثقافية، ومختلف عناصر بناه العرقية والاجتماعية، خلال رحلاته التي ساقته، عبر منطقة التل والسباسب والتخوم الصحراوية، لدى الامراء البربر المتحضرين والاعراب الرحل (برونشفيك 1988 ج2: 408).

يرى جوستاف لوبون Gustave Le Bon –الذي ينتمي إلى التراث الليبرالي والبورجوازي– (لوبون 1991: 23) ان تفسير الحوادث العظيمة التي تحوّل مصير الأمة من الصعوبة بحيث يُضطر الانسان إلى الاقتصار على ملاحظتها أي تلك الحوادث (لوبون 2012: 16). ولكن الاشياء تختلف في مثل تلك النصوص التي يجلو المستشرق تصويراً مزعجاً لصورة مزيفة مقتطفة من نص معتبر جهد المستشرق في انتزاعه من سياقه وتاريخيته وضوابطه ووجد فيه الاستشراق تحقيقاً لرغبته في اقامة تحليل لا يتجاوز سطح النص ولا يعبر عن منهجه الموضوعي المفعم باكتناه الاسباب لما وراء الصور والاحداث التاريخية وما اعتبرته النصوص الحقيقية التي أُخضعت للتحليل الفريد المتفوق الذي يفسر تصورها لما أطلق عليه منظروا الذات

الاستعمارية "مأساة افريقيا الشمالية في العهد الوسيط" (حميش [د.ن]: 56–57). وقد حرص علماء الاجتماع الاستعماري على أن يجدوا للأطروحة الانقسامية، تمويهاً يستندون عليه في بناء تأصيل نظري من خلال النصوص المسماة حقيقية. غير ان نصوص المقدمة والتاريخ التي اصبحت تمثل تقرير مصير وتاريخ المجال المغربي الحديث طُرحت لتكون فريسة للمذهب الاستشراقي الفرنسي ومعتنقيه الذي سعوا حثيثاً لتدشينها باعتبارها النظرية التأصيلية التي تفسر نظرية حقيقية في البنية الاجتماعية المغربية تسعى لتحليل التفاعل والتناقض الذي يُثبت وجودية وصدقية تلك الأطروحة.[10] ان وجهة نظر كهذه، في أعماقها، وجهة نظر استشراقية، غير نزيهة ترجع قوة تأثيرها الى مرجعيتها التراثية المكتشفة والمحررة والمترجمة حديثاً وتبرز قيمتها الاستعمالية في الاستخدام الجانح لتاريخ ابن خلدون وتأريخه للغزوة الهلالية[11] التي امد المؤرخون الفرنسيون –من منطلق اطروحتهم– التاريخ المغربي الحديث بخطوطها العامة وتمايزوا في ارتقاء وقائعها وتاريخها (العروي 1994: 93)، هذه الاطروحة التي كانت من ابرز اجتهادات المذهب الاستشراقي الفرنسي ما دلالتها المتضمنة في تاريخ المغرب ومساراته؟ رأي ابن خلدون الذي قرره في اطار نظريته العامة عن ثنائية البدو والحضر. وتهافت على صياغة هذا الاكتشاف بلغة حديثة جورج مارسيه وغوتييه جعلت الاتصال بين المجال المغربي وواقعه الحديث وثيقاً، ودعموا التمييز من خلال نبش تاريخ المغرب الوسيط لاغراض سياسية واضحة (العروي 1994: 95).

بامكان الاستشراق ان يقول ما قاله لتحقيق الطموح الاستعماري في مجال كان هو مَنْ عمّق الاهتمام به من خلال المعرفة الثقافية الاستعلائية لبنية الآخر الدونية وهي معرفة دعمتها القوة

---

[10] وللمزيد عن الاطروحة الانقسامية، انظر: العروي، عبدالله، **الاصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية 1830–1921**، تعريب: محمد حاتمي، محمد جادور، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، 2016، ص238.

[11] وللمزيد عن القضية الهلالية، انظر: ابن نعمان، احمد، **فرنسا والاطروحة البربرية، الخلفيات والاهداف، الوسائل والبدائل**، ط2، شركة دار الامة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997.

الاستعمارية، ولكن حقائق الاطروحة من وجهة نظر موضوعية تستند الى منهج يطرح ما يسمى الغزوة الهلالية في سياقها التاريخي ومن خلال الترابط بين السياسة وجوانب أُخرى كانت منطلقات ابن خلدون المنهجية لنظريته ففي ظل تغيرات اقتصادية افرزت اقتصاداً متدهوراً وسلطة منتهكة موزعة في سياق نزاع سياسي بين مركزين من القوة: قواد هلاليين وكتاب اندلسيين، اسرفت في الدفاع عن مصالحها. هذه الاسس والعناصر والصور وفي نظام هذه الامور التي اعتمد عليها ابن خلدون ليدشن منها، ويبرر بها نظريته، وابن خلدون كمنهج لتحليل ودراسة التاريخ والظاهرة الاجتماعية والدولة صار بوسعه من خلال اعتماده على الملاحظة والسبر اكتناه حوادث زمانه، ومن وجهة نظر جماعة الاندلسيين وهي تنافس الجماعة الهلالية. لذلك يستند ابن خلدون في تفسيره كثيرا من الظواهر الاجتماعية "بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية" (العروي 1994: 216).

جرأة العقلية الاستعمارية وجسارتها ومن امثلتها مغامرة أُخرى خاض تجربتها لويس برترند Louis Bertrand الذي أثار أسئلة مصيرية تاريخية حول النزوع الاستشراقي–الاستعماري للبراءة من تاريخ المغرب العربي الاسلامي وعبرت نواياه عن ارادة السيطرة الفرنسية من خلال ممارسة التغيير بصورة جذرية أو التأسيس لمعرفة تقوم على بتر التاريخ، وارتقى بتعاطفه الى درجة التواطؤ بناءً على تصور عرقي اصطنع جبهة مزيفة من البربر الابناء الحقيقيين للمغرب، في مواجهة التاريخ العربي "فعبثاً تدفقت عليهم مرتين الموجة العربية "الآسيوية". ففي كلا المرتين، كانت الصخرة المغمورة تطفو فوق السطح من جديد محافظة على اصالتها، وفية لماضيها. والماضي غير خافٍ على احد. انه الماضي الروماني مع ارثه المسيحي. انها افريقيا ابولي APULEE وسانت اغوستين SAINT AUGUSTIN." (عياش 1978: 22).

ان المنظرين الاستعماريين الفرنسيين الذين صاغوا المغرب النصي من خلال تجربتهم الاستعمارية والتي يملؤها التعاطف مع تاريخ المغرب التي تحكمت به تلاعبياً مؤسسة الاستشراق وأعادت انتاجه بصورة غير امينة للرؤيا الصحيحة للتاريخ العربي لتنفي الايجابية والوحدة فيه وان مصير المغرب المشؤوم ارتبط بالحضور العربي، وقد كان تأثير ابن خلدون في هذا السياق تأثيراً عميقاً وفعالاً فقد كان الوسيلة المتاحة الاساسية التي اسلم بها الاستشراق المغرب

للاستعمار الفرنسي من خلال اكتشاف تراثه التاريخي وتحريره وترجمته التي تلقت المغرب من خلاله، وهو منهج التفكير الوحيد الذي يستحق الاعتبار من وجهة نظرهم (عياش 1978: 24).

خاتمة

خلص البحث الى تأكيد الاتحاد العضوي بين الاستشراق والاستعمار، أو بين السياسة والعلم، من خلال دراسة تأثير تاريخ ابن خلدون، ومحاولة الاستشراق الفرنسي اعادة تأليفه وتحريره بما يتناسب مع مروياته الايديولوجية واسطورته المتحيزة. وخدمة مصالح فرنسا الاستعمارية في المغرب الكبير.

المصادر والمراجع:

أ.المصادر:

-ابن خلدون، ابو زيد عبد الرحمن محمد بن محمد بن محمد (808هـ/1406م) (1847)، *الجزء الأول من كتاب تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب، وهو القسم الآخر من التاريخ الكبير المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر*، وقد اعتنى بإزالة الغلطات عن نصه وبتصحيحه والنظر في طبعه العبد الفقير إلى رحمة ربه: البارون دسلان، طبع في ثغر جزائر المغرب المحمية في دار الطباعة السلطانية.

-العدواني، محمد بن محمد بن عمر (من أهل القرن الحادي عشر الهجري=القرن 17م) (1996)، *تاريخ العدواني، كتاب في اخبار هجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر الاحوال والتقلبات السياسية والاجتماعية لمنطقة المغرب العربي واصول بعض المدن والقرى، والعلاقات الروحية بين المشرق والمغرب منذ الفتح الاسلامي*، تقديم وتحقيق وتعليق: ابو القاسم سعدالله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1.

-القادري، محمد بن الطيب (1187هـ/1773م) (1978)، *حوليات نشر المثاني "حسب مخطوطة فريدة بمكتبة البودليان بجامعة اكسفورد*، تقديم وتحقيق: نورمان سيكار، قدم له: عبد الهادي التازي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، المغرب.

ب.المراجع:

-ابراهيم، ابراهيم اسحق (1996)، *هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال افريقيا وبلاد السودان*، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط1.

-إدريس، الهادي روجي (1992)، *الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م*، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1.

-أوملیل، علي (2005)، *الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط4.

-باتسييفا، سفيتلانا (1973)، *نظريات ابن خلدون*، ترجمة: رضوان السيد، دار المغرب العربي، تونس.

-باتسييفا، سفتيلانا (1986)، *العمران البشري في مقدمة ابن خلدون*، ترجمة عن الروسية: رضوان ابراهيم، مراجعة: سمية محمد موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

-بروفنسال، ليفي (1994)، *الحضارة العربية في اسبانيا*، ترجمة: الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط3.

-بوتول، جاستون [د.ن]، *تاريخ علم الاجتماع*، ترجمة وتعليق: غنيم عبدون، مراجعة: جلال حسن صادق، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

-بوتول، جاستون [د.ن]، *ابن خلدون، فلسفته الاجتماعية*، ترجمة: غنيم عبدون، مراجعة: مصطفى كامل فوده، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

-بوطالب، محمد نجيب (2002)، *سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.

-جب، هـ.أ، وآخرون (1934)، *وجهة الاسلام، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الاسلامي*، اشرف على تحريره: جب، نقله عن الانجليزية: محمد عبد الهادي ابو ريده، راجع الترجمة وقدم لها: جب، القاهرة.

-جوليان، شارل اندريه (1983)، *تاريخ افريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الاقصى، من الفتح الاسلامي الى سنة 1830م*، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، فيفري، ط2.

-جوليان، شارل اندريه (1985)، *تاريخ افريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الاقصى، من البدء إلى الفتح الاسلامي 647م*، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، جويلية، ط5.

-جوليان، شارل اندريه (1976)، *تاريخ افريقيا الشمالية، القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية*، ترجمة: المنجي سليم الطيب المهدي، الصادق القدم، فتحي زهير، الحبيب الشطي، مراجعة: فريد السوداني، الدار التونسية للنشر، تونس.

-الحاج، ساسي سالم (2002)، *نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الاسلامية*، دار المدار الاسلامي، بيروت، ط1.

-الحصري، ساطع (1953)، *دراسات عن مقدمة ابن خلدون*، دار المعارف بمصر، طبعة موسعة.

-حميش، بنسالم [د.ن]، *الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ*، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

-حميش، بنسالم (2010)، العرب *والاسلام في مريا الاستشراق*،، دار الشروق، القاهرة، ط1.
-حيمر، عبد السلام (2008)، *في سوسيولوجيا الخطاب، من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل*، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1.
-درويش، احمد (1997)، *الاستشراق الفرنسي والأدب العربي*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
-الدعمي، محمد (2008)، *الاستشراق، الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الاسلامي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2.
-روبار برونشفيك (1988)، *تاريخ افريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية القرن 15*، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.
-الزيادي، محمد فتح الله (1995)، *الاستشراق، أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون*، دار قتيبة، طرابلس، ط1.
-سعيد، إدوارد (2001)، *الاستشراق، المعرفة. السلطة. الإنشاء*، نقله إلى العربية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط5.
-سعيد، إدوارد (2004)، *الثقافة والإمبريالية*، نقله إلى العربية وقدم له: كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط3.
-سيديُّو، ل.أ (1969)، *تاريخ العرب العام، إمبراطورية العرب، حضارتهم، مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية*، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط2.
-العروي، عبدالله (1994)، مجمل *تاريخ المغرب*، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1.
-العروي، عبدالله (2016)، *الاصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية 1830-1921*، تعريب: محمد حاتمي، محمد جادور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1.
-العقيقي، نجيب (1965)، *المستشرقون*، دار المعارف بمصر، ط3.
-عياش، جرمان (2010)، *دراسات في تاريخ المغرب*، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ط1.
-غوتييه، أ.ف (2010)، *ماضي شمال افريقيا*، ترجمة: هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية.
-غيلنر، إرنست (2005)، مجتمع *مسلم*، ترجمة: أبو بكر احمد بوقادر، مراجعة: رضوان السيد، دار المدار الاسلامي، [د.م]، ط1.

–فوك، يوهان (2014)، *تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والاسلامية في اوروبا حتى بداية القرن العشرين*، نقله عن الألمانية: عمر لطفي العالم، وزارة الثقافة، عمّان.

–قريسة، نبيل خلدون (2006)، *ابن خلدون مرآة الجوكوندا*، دار المعرفة للنشر، ط1.

–لاكوست، إيف (2017)، *العلامة ابن خلدون*، ترجمة: ميشال سليمان، دار الفارابي، بيروت، ط2.

–لاكوست، إيف (2010)، الجغرافيا السياسية للمتوسط، ترجمة: زهيدة درويش جبور، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ابوظبي، ط1.

–لوبون، غوستاف [د.ن]، *حضارة العرب*، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، [د.م].

–لوبون، غوستاف (2012)، *روح الثورات والثورة الفرنسية*، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

–لوبون، غوستاف (1991)، *سيكولوجية الجماهير*، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، دار الساقي بيروت، ط1.

–مارسيه، جورج (1991)، *بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى*، ترجمه عن الفرنسية: محمود عبد الصمد هيكل، راجعه واستخرج نصوصه: مصطفى ابو ضيف احمد، منشأة المعارف، الاسكندرية.

–ماسّيه، هنري، *الاسلام*، ترجمة: بهيج شعبان، علق عليه وقدم له: مصطفى الرافعي وحمد جواد مغنية، منشورات عويدات، بيروت–باريس، ط3.

–مشوش، صالح بن طاهر (2012)، *علم العمران الخلدوني، وأثر الرؤية الكونية التوحيدية في صياغته، دراسة تحليلية للإنسان والمعرفة عند ابن خلدون*، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا–الولايات المتحدة الامريكية، ط1.

–معريش، محمد العربي (2009)، *الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية (1822–1872)*، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط2.

–مغربي، عبد الغني (2014)، *الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون*، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين، وزارة الثقافة، عمّان.

-ابن نبي، مالك (1969)، *انتاج المستشرقين، واثره في الفكر الاسلامي الحديث*، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

-ابن نعمان، احمد (1997)، *فرنسا والاطروحة البربرية، الخلفيات والاهداف، الوسائل والبدائل*، شركة دار الامة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2.

-وايت، هيدن (2017)، *محتوى الشكل: الخطاب السردي والتمثيل التاريخي*، ترجمة: نايف ياسين، مراجعة: فتحي المسكيني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين.

ج. الدوريات والموسوعات

-بدوي، عبدالرحمن (2011)، *موسوعة المستشرقين*، وزارة الثقافة، الأردن.

-حسين، محمد الخضر (2010)، *موسوعة الاعمال الكاملة*، جمعها وضبطها: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، ط1.

-خراط، محمد يحيى (2008)، *حول طبيعة الاستشراق، ارنست رينان والاستشراق الفرنسي*، المعرفة، العدد527، حزيران.

-زكريا، م م ش أ، جودي (2019)، *قراءة في وثيقة أول بيان للجيش الفرنسي الموجه لسكان الجزائر في مايو 1830*، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، العدد1.

-العلوي، سعيد بنسعيد (1993)، *صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر-المغرب في الدراسات الاستشراقية*، الندوة السادسة للجنة القيم الروحية والفكرية، مراكش، اكاديمية المملكة المغربية.

-مزيان، محمد (2016)، *"المغرب في الأدبيات الكولونيالية الفرنسية ومشروعية الغزو والالحاق"*، مجلة عُمران، العدد17/5.

المراجع الاجنبية

-DE SACY, LE BARON SILVESTRE (1826), CHRESTOMA THIE ARABE, IMPRIME PAR AUTORISATION ROYALE.